

- ٣ -

الاستمتاع بالبدانة!

✍ كتبت أجزاء من هذا الكتاب في مقالات متتابعة، وفي إحداها كنت فقدت من وزني، أكثر من ٦٠ كيلاً، أي ما يعادل ١٣٢ باونداً!

وأذكر ما يعادل الكيلوات بالباوند، لأستمتع بكبر الرقم، كما كنت أستمتع بكبر الوجبات التي أمتع ناظري برؤيتها سابقاً، وما هي إلا لحظات حتى أحيلها قاعاً صافصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً.

وكم استحضر الزملاء عند الحديث عن شهيتي سابقاً الآية الكريمة: ﴿لا تبقي ولا تذر﴾ في إشارة إلى تقديري لكل أنواع الطعام، وتلذذي بما طاب منها وما لم يطب.

وعلى الرغم من كل ما يردده القاصي والداني عن مساوئ السمنة صحياً وبدنياً ونفسياً، إلا أنني كنت أجد فيها ولو على صعيدي الشخصي تجسيدا حقيقياً لمعاني العولة حتى قبل أن تكون هذه الأخيرة مطروحة في الميدان وعلى كل لسان.

وأقول: إن ذلك يأتي من جهة محبتي تجريب أطعمة كل شعوب الأرض واستلذاذي بأطابيحهم، وتفكهي لمشهياتهم وفتكي بأطباقهم، على أن الشعوب التي تكتفي من الطعام

بالقليل لم تجعلني أرفض ثقافاتهما، وإن اختلفت معها، متكئاً على اعتبار أنه لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً...

ولم يكن شيء يقربني من اليابانيين قبل أجهزتهم وتقنياتهم المتقدمة إلا السوشي والساشيمي، والتابنياكي، ولم يحسبني شيء بالثراء مثل المقبلات اللبنانية التي تمتد من طرف المائدة ولا تنتهي بطرفها، وما كان شيء ليحببني بالأردنيين كالمنسف، ولا الكويتيين كالمكبوس، ولا الإماراتيين كالهريس، ولا البحرينيين والعمانيين كالحلوى، ناهيك عن البلاليط القطرية التي كنت ألتهمها نكايه بترصد (الجزيرة) لكل ما هو سعودي، مروراً بالكشري المصري، والطواجن والحريرة المغربية، والسماك المسكوف العراقي، دون أن أنسى الباستا الإيطالية، وما أغضبني شيء في الفرنسيين كصغر حجم كبد البط لديهم تلك التي يسمونها "فواغرا"!

مراهقة مع الأطعمة!

وأشهد بالله، وأحسبني صادقاً، أنني خلال سني المراهقة لم أكن مراهقاً إلا في علاقتي مع الأطعمة

وأصناف الأكلات، وأظن وأرجو أن يكون هذا ظناً ليس من الإثم في شيء، أنها علاقة عذرية، فلم آكل يوماً لحمة دون علم أهلها، ولا واعدت فطيرة على حين غرة من عشيرتها، ولا أنا الذي منيت صحن حمص، ولا حساء، ولا إيدام، بما لم أحققه لهم، وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين.

لطالما نظرت إلى محمّر ومشمّر فأطرقت صامتاً كحكيم، وسلهمت عيني كعاشق، أما قول السيدة أم كلثوم رحمها الله: "أروح لمن؟ وأقول يا مين ينصفني منك؟ ما هو انت فرحي وانت جرحي..." فما رددته لغير صحن كبسة كان يتزين لي كغانية تستدرج يافعاً أصابها شبابه وفتوته في مقتل!

وما أكثر ما حوّرت أبيات الشعر لصالح شهيتي ورغبتني، باتجاه كل تلك النصائح السامجة، التي كان بعض الناس يسديها لي بوجوب تخفيض وزني.

ذات يوم كنت على مائدة عائلية وقد استويت عليها بعد طول جهد مع الدسم، لأتفرغ للحلوى، فرمقتني عين سيدة من قريباتي بما لم يعجبني من نظرات، فغضضت

طرفي عنها كأن لم يصبني منها بأس، حتى أكثرت النظر
إليّ، ثم أتبعته تعليقاً على فتكي بأطباق الحلوى واحداً تلو
الآخر، بأن ذلك لا يجدر بسمين مثلي!

لم أجد أنسب للرد عليها من إكمال الطبق بشهوة أكبر،
واستطعام أكثر، وترديد لقول الشاعر وأنا أخاطب الأطايب
من الأطعمة:

أجدُ الملامةَ في هواكِ لذينةُ

حباً لذكركِ فليلمني اللومُ

سمين سابق... سمين حالي؟!

كنت قلت ذات مرة خلال رحلة تخفيض الوزن، وخلال
كتابتي لمذكرات سمين سابق، ونشر بعضها في مقالات
متباعدة التوقيت، إنني فقدت خمسين كيلاً من وزني
فأضحى ناتجى آنذاك ١٣٠ كيلو غرام تمشي على الأرض،
وقد نسيت حينها أن أقول مثلاً أردده دوماً من باب
التحدث بنعمة الله علي، ألا وهو: "يا أرض انهدي ما عليك
أدي"، وهو يلفظ بالدارجة المصرية.

وقد غضبَ بعضهم غضباً مضريةً على عنونتي لهذه

السلسلة بذكريات سمين سابق، وأنا -حينها- مازلت عضواً في نادي المئة، فلا أدري أهو حرص عربيٌ منهم على تحرير الألفاظ، وصيانة المصطلحات، أم أنهم أركسوا في الفتنة مصداقاً للآية: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾!؟

وقبل أن يتولاني أحد بتعليق أقول على نفسي إشارة إلى ما سبق: إن من يقرأ كتابتي الآنفة يعتقدني مارلين مونرو، لكنني أركز على بيت الشعر العربي الشهير، وأشير إلى أن التشبيه لجهة الوزن ورشاقة الجسد، ليس إلا:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم

إن التشبه بالكرام فلاح!

وأقول تحريراً للخلاف وحسماً لمادته الأصلية، وصيانة لدماء الأمة، وحتى لا يقع الناس فيما لا يحسن منهم، ولا يخوضوا فيما لا يجدر بهم، إنني حررت هذه السلسلة من الموضوع على فترات متباعدة وقتاً، وأنا أعلم أنها لن تتم قبل أن يتم مرادي، إلا أن يقضي الله أمراً كان مفعولاً، وعنونت لها باعتبار ما سيكون، لا باعتبار ما هو كائن، فنتبه إن كنت بصيراً، ودعك -رحمني الله وإياك- من

مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن. وقلت آنذاك: بيننا وبينكم الوقت، وكل ما هو آت قريب، وأحسب أن البيع ربح!

ظهور تلفزيوني مختلف:

في إبريل (نيسان) ٢٠٠٤، ظهرت على شاشة التلفزيون في قناة "العربية" ضيفاً في برنامج السلطة الرابعة الذي تقدمه الزميلة جيزيل حبيب أبو جودة، وهو برنامج يعرض تعليقات الصحافة الأجنبية حول القضايا العربية وما يتعلق بالعالم العربي من قضايا العالم، ويستضيف صحافياً للتعليق على الأخبار.

كانت أبرز قضايا ذلك اليوم الذي وافق الثلاثاء ١٣ أبريل (نيسان) ٢٠٠٤ مقالاً كتبه السيناتور جون كيري المرشح -آنذاك- لانتخابات الرئاسة الأميركية، ونشر في الـ"واشنطن بوست"، وكان يعترض فيه على سياسة الرئيس بوش في العراق، إضافة إلى افتتاحية "الإنديبندنت" البريطانية التي تدعو أعضاء مجلس الحكم في العراق إلى الاستقالة لأنهم أصبحوا في مرمى النيران بين قوات الاحتلال الأميركية من جهة والشعب العراقي الذي يزرع تحت وطأة الاحتلال من جهة أخرى، كما شمل الحديث

زيارة رئيس الوزراء الإسرائيلي أرييل شارون التي كان سيقوم بها إلى واشنطن لتحقيق مكاسب أكثر له خلال تفاوضه مع بوش. وقبل أن يظن أحد أنني تحولت من الحديث عن السمنة إلى الحديث في السياسة أذكر أن شارون يصنف في عداد البراميل لجهة شحومه التي تحتاج إلى من يزيلها، وإن تفضل بإزالته من حياتنا السياسية فإنه يحقق خيراً، وذلك دون شك نور على نور، يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتفكرون.

بعد البرنامج تلقيت على هاتفي الجوال ما يزيد على عشرين مكالمة خلال أقل من ٢٤ ساعة. تفضل المتصلون من الأصدقاء والأهل والمعارف، فأشادوا بمجمعي على نقطة رئيسة، هي تغير شكلي، وقدرتي على فقدان هذا الكم من الكيلوات، بحسب تعبيرهم!

قال لي أحد المتصلين بلهجة سعودية: "أيه يا أخي... توك (الآن فقط) تصير آدمي". كان يعتقد أنه يمدحني، لأنني انضممت إلى ركبته، وانضويت تحت لواء آدميته!

نزولاً عند الآداب العامة، شكرته وأنا أصدر صوت صرير من أسناني.

قال لي الآخر: "شفت وش زين شكلك صار!، وختم
مازحاً: "ما كان من الأول!، رددت عليه: " أن تأتي متأخراً،
خير من أن لا تأتي"!.

كل الاتصالات كانت تركز على شكلي، ولا أخفي متعتي
بها، وتلذذي حد الثمالة بألفاظ الشاء والمديح، والعبارات
التي كانت تشيد بإنجازاتي.

وأصدقكم أنني عندما كنت أتلقى اتصالاً في مكان
أكون فيه وحيداً، كنت أقفز كالأطفال أحياناً، لأؤكد أنني
بالفعل أصبحت رشيقياً، على الأقل مقارنة بما كنت عليه،
وفي المثل: "ما فات... مات"، عياداً بالله من الموت وذكره،
وأحسن الله خواتمنا جميعاً.

إنه لأمر ممتع أن يتحدث المتصلون عن قدرتك على
فقد وزنك، لكن المؤلم في الموضوع أنني لم أكن ضيفاً على
برنامج للصحة الجسدية، أو الحمية، أو حتى برنامج
للطبخ، بل كنت ضيفاً على برنامج يعرض للصحافة
السياسية الغربية، وقلت كلاماً ليس له علاقة من قريب
ولا من بعيد بالسمنة أو التخسيس، إلا بالنظر إلى ارتباط
لفظة التخسيس بالخسة ومقارنتها بأفعال رئيس الوزراء

الإسرائيلي سيئ الذكر شارون، وأقول بالمناسبة إنني قلت في المقابلة إنه مع كل عدم احترامنا له يعرف من أين تؤكل الكتف، وأظن أنني كان يجب أن أضيف إلى الكتف شحم الإلية، لمناسبتها لشارون حالاً ومقاماً.

وأعود إلى البرنامج لأقول إنه من غير الممتع أن يتجنب الناس التعليق على حديثك في الموضوع الأصلي ابتداءً، لكنني حتى لا أظلم أحداً أقول إن فيهم من راعى الذوق العام وختم مكالمته فقال إن حديثي أعجبه أيضاً، لكن هؤلاء أيضاً، عادوا ليؤكدوا أن شكلي الجديد هو دافع الاتصال.

لم أحس قبل هذه الاتصالات بالحالة التي تشعر بها نانسي عجرم عندما يتصل بها معجبون للحديث عن أثرها فيهم، وبالتأكيد فإن هذا الأثر لجهة ملاحظتها، لكنهم سيقولون في ختام مكالماتهم بأنهم طربوا لأغنية من أغنياتها!

أؤكد بأنه جميل جداً أن تتلقى ثناءً على قدرتك على التحول من كتلة كبيرة الحجم متحركة على الأرض ولو بصعوبة، إلى كتلة أصغر بقليل متحركة بصعوبة أقل، لكن

الناس كانوا يتحولون من الموضوع الأساسي إلى موضوع فرعي، وما أكثر ما يشغلنا الهامش عن المتن، والفرع عن الأصل.

